نافذة على ساحة الاغتيال والرهجة

حسن البحراوى

ها ريح موشومة بنداف الشميح تحط عند ضفة النهر المهوس
تنشر على صهوة الماء نقوشا غجرية من عهد عتيق
تتفتق فى احتمال العاصفة ، وتطبق عينيها آخر السهرة
تعرف أن سهم الجسارة ورد ، وأن ثقل السماء يتحد بالقوس
ترسل سهما آخر فى عينيك
(لعينيك يا حلوتى بريق يسع العالم ينطق بالنبوة
وبريق واقد فى صهيل الجياد الزائغة)
قطب الرحى ، ياجيلى ، وجه غريب التواريخ تتوقد عبر المسافات
تضاريسه الدهرية ، تدخل كتاب الوقوف تعلن ان للريح
هاجسا فى استدارة الحاجب وعينا جاهرة للرصد
وقطب الرحى ، ياجيلى ، مدينة محاصرة التوقع ندخلها سرا
نخرجها سرا يفيض من رحمها الهوس والحزن الكبير يفيض
ساعة يحتقن وجه الغابة يتطاير شظايا للخصب وخنجرا للظلمات يفيض
(للغابة وجه تغرق فيه ، يرعشها باللذة والقسوة والموت ينزف
دما فى جسوم الاهازيج القبلية ودمعا فى اتجاه الصحراء)
شبح هى الايام ، أيامنا مشتعلة ابدا ، تنحنى كنصل سكين
اختال بين فجوة الدم وارتداد الدمع تاتى على غارب السماوات
تلبس حلمات الوعد ، تجىء فى صورة الصهد والرمل والربابة
وتجىء ، لنا ، نهدا طريا لحظة الحلم السعيد ، تجىء ، ياقوتا
ومرجانا احمر ونساء من المدن اللوطية يقرأن اوردا من جوع
تكون فاتحة الانبهار ، وتجىء ياجيلى ، شجرة تصحو وحيدة
فى آخر الدنيا تتدفق مثل اللغم عند قدميك ، فى الساحة تمحى
صيغة الغم فيها ويتكشف صوته التكوين الخرافى
هذا زمن الورد والياسمين
هذا زمن الزمن الهيكل المصدوع فى بداية العتمة وأصل الاشياء الاخرى

هذا زمن معكوس والصبوة الحجرية غارت فيه والعيون المزغبة
المشبتة فى معابر النوافير تجزع فى حدود الجريمة اللاهثة .
تطفح سحابا وشظايا المنيوم وضفائر مهدلة
وماذا ؟ غير الهجرة الممتدة بين احتراق الشهوة البكر وطقوس
الولادة العسيرة ـ هذه تعويذتى أتلوها فى سحبة البكاء ، فيك
يا آخر الاحباب مفتون الاهلة غابوى التهاويم كيف بقيت مغلقا
كالحروف المرصودة بقاع النهر وليلك يا آخر الاحباب يخوننى
وليلك يا آخر الاحباب هويتى الكسيحة بعد اعوام عجاف
تعودنى أنباء ملحية الفصول مرصوصة بالنضجة والماء وحشى
الوشى ... ياخذنى ...
وليكن يا آخر الاحباب اذن غوايتى ونعشى خاتمة الدنيا
خاتمة الدنيا ورد وجرائد
وخاتمة الدنيا لافتة سافرة لها طول الشارع وحجم العلاقات الخاسرة
وخاتمة الدنيا ، لو تدرى ياجيلى المغبون ، لو تدرى ابجدية
جامحة تنبت فى خطوط اليد تتبول فى حانة الجالية
على الضفة تقرئك السلام وترجىء الموعد المتوهج / الراجف
الى أجل تقره هندسة السلوك المتخلفة
للصبية التى حببت عيون الزرقاء وصوتها زوربا ووجه ينحل
يخرج منه مئات اللاجئين ومجرمى الحرب وعمال مناجم
الفحم والملح والصودا ...
يضيق جبين الصبية التى أحببت تندس فيه شجيرات الشاى
وأجران العنبر ونبات الخزامى ...
يضيق جبين الصبية التى أحببت تسقط فيه الجزيرة
العربية سقوطا سافرا توزع بالمناسبة الزيت والسكر والاقمشة البالية
وشحنات اخرى من العهارة والرهجة والضحك الغالي
وشىء من حبوب السعادة المهربة من قصور السعديين
وعندما تموت تلك الصبية التى أحببت نعد لها قبرا رخاميا
له سعة البقاع المحتجبة وحالات العرض الجماعى ، ننتقى
شاهدا ، لها ، من احسن متحف بأكسفورد ، نتبارى فى الكتابة
بخط كوفى عريق خارج الزمن والقبيلة نحرم البكاء الانثوى
قياصرة
فاجرة كانت وكانت انشودة للمطر والنخيل ..
وفى نهاية الامانى المقبلة يتهشم ازميلنا الوحيد ، الوحيد ، الوحيد
يتساقط صفوفا متوالية
فى منشور خاص ونقول كانت أكسير الهجس ولحظة

قراصنة
صيارفة
وفقهاء
تموت حبيبتى مغتالة هذه المرة

امجكاكن – بحراوى حسن